ملخّص ما بين واقعين واقع الدنيا وواقع الدين (ح٥٣) / عبد الحليم الغزّي
المذهب الطوسي (ج٣٤)
كينونة دين العترة الطاهرة (ق٢) الولاية
السبت : ٢٢/جمادى الاولى/١٤٤٤هـ - الموافق ١٧/١٢/٢٠٢٢م

حلقةُ اليوم هي امتدادٌ للحلقة المتقدِّمة، هذا هو القسمُ الثاني من العنوان الَّذي أوجزهُ لَكُم: "**كَيْنُونةُ دين العترة الطاهرة؛ الوَلايَة الَّتي هي وَلايةُ اللّه، وهي هي وَلايةُ مُحَمّدٍ وآلِ مُحَمّد صلواتُ اللّه عليهم**".

- جولةٌ بينَ آيات الكتاب الكريم، الآيات الَّتي تكشفُ لنا مضمونَ الوَلايَة، مضمونَ العلاقة فيما بَينَ اللّه وبَينَ مُحَمّدٍ وآلِ مُحَمّد صلواتهُ وسلامهُ عليهم أجمعين.

البدايةُ من هُنا من الآية الثالثة والعشرين بعدَ المئة بعدَ البسملة من سورة هود وهي آخرُ آية في سورة هود، هذه آيةٌ جامعةٌ شاملةٌ كاملة: ﴿**وَلِلّه غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** - إذا كانَ كُلُّ الغَيبِ لهُ فَعَالَمُ الشهادة لَهُ، لأنَّ عَالَمَ الشهادة أثرٌ من آثارِ عالَمِ الغَيب، فإذا كانَ الأصلُ لهُ فإنَّ الفرعَ لَهُ أيضاً - **وَإِلَيْهِ** - وَإِلَيهِ سبحانَهُ وتعالى وإِلَيه - **يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ** - هذه هي وَلايةُ اللّه، الوَلايَةُ الأصل - **فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾،
في الزيارة الجامعة الكبيرة هُناكَ قاعدةٌ من قواعد هذه الزيارة ومن قوانينها الموجزة نُخاطبهم: (**وَأَمْرُهُ إِلَيْكُم**)، هذه الجملةُ تُلَخِّصُ جميعَ معاني مَظاهر الوَلاية ومراتبها.
آيةٌ أخرى من سورة المُلْك إنَّها الآيةُ الأولى بعدَ البسملة، ونُضيفُ إليها الآيةَ الثانية أيضاً كي يتكامَلَ المعنى واضحاً جلياً، الآيةُ الأولى بعدَ البسملة من سورة المُلْك: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** - الْمُلْكُ بِيدِه والقُدرةُ مُطلقةٌ، "**وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّه**"، هل يُمكنُ الفرار من حُكومَته؟ إلى أين؟ إلى أين؟
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ - كُلُّ شيءٍ راجعٌ إليه - **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾.
إذا ما جمعنا الآيةَ الأخيرةَ من سورة هود معَ الآيتينِ الأولى والثانية بعدَ البسملة من سورة المُلْك وضعنا بياناً كاملاً لمعنى وَلايَة اللّه، إنَّهُ القُرآنُ بِكُلِّ بلاغته وبِكُلِّ جمالِ أساليبه التعبيرية بِكُلِّ دقَّته وتمام حِكمَته وعُمقِ مَنطقه، هذه الآياتُ تُشَكِّلُ لنا بياناً كاملاً "**لِوَلايَة اللّه**"، لابُدَّ أن تعرفوا من أنَّنا نتحدَّثُ عن آثارِ وَلايته، وَلايةُ اللّه لا نعرفها، لا نتصوَّرُ شيئاً من معناها، وَلايَةُ مُحَمّد وآلِ مُحَمّد لا نَعرِفُها.
في سورة آل عمران في الآية التاسعة والأربعين بعدَ البسملة الحديثُ عن عيسى بن مريم: ﴿**وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ**﴾، الآيةُ واضحةٌ تتحدَّثُ عن عيسى المسيح وهو يصفُ نفسهُ بأنَّهُ خالقٌ وبأنَّهُ مُحيي الموتى.
في الآية العاشرة بعدَ المئة بعدَ البسملة من سورة المائدة اللّهُ يقولُ لهُ: ﴿**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ** - اللّهُ يُقرِرُ لهُ أنَّهُ خالقٌ - **كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي**﴾، تُخرجُ الموتى من عالمِ موتهم إلى عالمِ حياتهم في الدُّنيا.
في سورة آل عمران في الآية التاسعة والأربعين بعدَ البسملة عيسى كانَ يتحدَّثُ عن نفسه فينسبُ إلى نفسه من أنَّهُ خالقٌ، ومن أنَّهُ يُحيي الموتى، هُنا في سورة المائدة اللّه يُقرِرُ لهُ هذه الأوصاف يؤكِّدها لهُ.
إذا ما ذهبنا إلى سورة الزُّمَر وإلى الآية الثانية والأربعين بعدَ البسملة: ﴿**اللّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** - هُوَ الَّذي يتوفَّاها - **وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾، كُلُّ التفاصيل نُسبتَ إلى اللّه مباشرةً.
في سورة السجدة إنَّها الآيةُ الحاديةُ بعدَ العاشرة بعدَ البسملة: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾، النسبةُ هُنا إلى ملَك الموت.
إذا ما ذهبنا إلى سورة النحل وإلى الآية الثامنة والعشرين بعدَ البسملة: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ**﴾، الملائكةُ هُم الَّذينَ نُسبَ إليهم الأمر، التَّوفِّي نُسبَ إليهم.
تُلاحظونَ ما بينَ آخرِ آية من سورة هود، وأوَّل آيتينِ من سورة المُلْك حيثُ النسبةُ الكاملةُ إلى اللّه، إلى عيسى وما نَسبَ إلى نفسه في سورة آل عمران، وإلى عيسى وما نَسبَ اللّهُ إليه في سورة المائدة، حيثُ نَسبَ إليه الخالقيّةَ وإحياء الموتى، وإلى سورة الزمر حيثُ نَسبَ اللّهُ توفي الأنفس إليه، وفي سورة السجدة إلى مَلَك الموت، وفي سورة النحل إلى الملائكة الَّذينَ هُم أعوانُ ملك الموت وجُندهُ العاملونَ لديه، هذه الآياتُ تشكِّلُ لنا مثالاً تقريبياً لمظاهرِ "**وَلايَة اللّه**"؛ "**ولايَتهُ**"؛ حينما يُنسَبُ التوفِّي إليه، "**وولايتهُ**"؛ حينما يُنسبُ التوفِّي إلى مَلَك الموت، "**وولايتهُ**"؛ حينما يُنسبُ التوفِّي إلى الملائكة أعوانِ مَلَك الموت.
فما يُنسبُ إلى مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد لا هو بتفويض ولا هو بغلوٍ، ما يأتي في الزيارات والأدعية والمناجيات والروايات الشريفة الَّتي يُثيرُ الطوسيونَ الأغبياء الإشكالات عليها ويُسقطونها، يُثيرونَ شُبهة التفويض وشُبهة الغُلو على الزيارات وعلى الأدعية وعلى الروايات ويقومونَ بإسقاطها، أو بتوجيه معانيها بشكلٍ خاطئ ويُحاولونَ أن يفهموها بفهمٍ بائس، هذا هو الضلالُ بعينه في المَذْهَب الطوسي، لماذا؟ لأنَّهم أعرضوا عن قُرآنِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد المفسَّرِ بتفسيرهم.
القُرآنُ تحدَّثَ عن بعضِ مقامات وَلايَة مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد.

- في طائفة من الآيات؛ ساوى اللّهُ فيما بينهُ وبينَ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد.

في سورة آل عمران في الآية السابعة بعدَ البسملة الحديثُ عن الكتاب: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** - إلى أن تقولَ الآيةُ السابعةُ بعدَ البسملة من سورة آل عمران - **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾، مُساواةٌ، فإنَّ اللّهَ ساوى فيما بينهُ وبينَ هذه المجموعة الَّتي عنونها بهذا العنوان: (الرَّاسِخُونَ فِي العِلْم)، الرَّاسخونَ في العلم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، هذه بديهيةٌ ثقافيةٌ قُرآنيةٌ شيعية.

وإذا ما ذهبنا إلى آخرِ آيةٍ من سورة الرعد وهي الآيةُ الثالثةُ والأربعون بعدَ البسملة: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾، فقد ساوى اللّهُ فيما بينَهُ وبينَ الَّذي عندَهُ علمُ الكتاب "**عليّ**"، من بديهياتنا القُرآنيّة العقائديّة الَّذي عندَهُ علمُ الكتاب "**عليّ**".

في سورةِ الجن، في الآيةِ السادسةِ والعشرين والَّتي بعدها من بعدِ البسملة من سورة الجن: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ** - غَيْبه الَّذي يُنسَبُ إليه، هذا غيبٌ خاصٌ باللّه، لا يطّلعُ عليهِ أحدٌ إلّا هو، هو صاحب الغيب وقد أطلعَ عليهِ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّد فقط، إنَّها المساواةُ الَّتي مرّت في الآيات المتقدِّمة حتّى وصلَ الكلامُ إلى أنَّ فعلَ مُحَمَّدٍ هو فعلُ اللّه - **أَحَداً** ۝ **إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ**﴾، مُحَمّدٌ صلّى اللّهُ عليه وآله هُوَ الرّسولُ المصطفى، وهُوَ الرّسولُ المرتضى، وعَلَيهِ عَلَيهِ هُوَ المرتضى.

ماذا نقرأ في سورة الفتح في الآيةِ العاشرة بعدَ البسملة: ﴿**إِنَّ الَّذِيْنَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾، أجلى المعاني وأوضحُ المعاني في مساواةِ بينَ وَلايَة اللّه وَوَلايَة مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد الصورةُ هُنا واضحةٌ واضحةٌ جدّاً وجليّةٌ جدّاً.

سأنتقلُ بكم إلى مجموعةٍ من الآيات تُحدِّثنا عَن الوَلايَة الكونيّة وهي أوسعُ بكثيرٍ من الوَلايَة التكوينيّة، ما تقدَّمَ من الآيات كانَ الحديثُ فيها عن الوَلايَة التكوينيّة والوَلايَة التشريعيّة، ما سيأتينا من آيات فإنَّ الحديثَ فيها عن الوَلايَة الكونيّة، الوَلايةُ الكونيةُ خاصَّةٌ بِمُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد فقط، أمّا الوَلايةُ التكوينيّةُ في سعتها المطلقة هي خاصَّةٌ بِهِم لكنَّها قد تكونُ بمستوىً من المستويات في الأنبياء والأولياء قطعاً بإذنٍ منهم، بإذنٍ من مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد.

- **نذهبُ إلى مجموعة الآيات الَّتي تتحدَّثُ عن الوَلايَة الكونيّة.**

في سورة المؤمنون من الآية الثانية بعدَ العاشرة بعدَ البسملة وما بعدها: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ** ۝ **ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ** ۝ **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾، هُناكَ خالقون حقيقيون، اللّهُ سُبحانهُ وتعالى قارَنَ فيما بينَ نفسهِ وبينَهم، الخالقونَ الحقيقيونَ هُم الَّذي قدرتهم على الخلقِ كقدرته، لكنَّهُ أحسنُ منهم لأنَّهُ هو الَّذي خلقهم وهو الَّذي منحهم القدرةَ على الخلق.

هذا الوصفُ وَردَ أيضاً في سورة الصافات في قصّة النّبي إلياس في الآيةِ الثالثةِ والعشرين بعدَ المئة بعدَ البسملة من الصافات: ﴿**وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ** ۝ **إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ** ۝ **أَتَدْعُونَ بَعْلاً** - هذا صَنَمُهم، صنمهم من الحجر الَّذي كانوا يعبدوهُ - **أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ** ۝ **اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ**﴾، "**أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ**"، هُناكَ خالقون، ولذا فإنَ اللّه سبحانهُ وتعالى قارنَ فيما بينَ خالقيّته وخالقيتهم، لكنَّهُ هو أحسنُ الخالقين، لماذا؟ لأنَّهُ هو الَّذي خلقهم، وهو الَّذي أعطاهم القُدرة على الخَلْق، وجعلَ خالقيّتهم كخالقيته مثلما جاء في دعاء شهرِ رجب إنَّهُ الدعاء المرويّ عن إمامِ زماننا صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: (**لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُك** – مَخلُوقُون.

حينما نقرأُ في سورة الكهف في الآيةِ الرابعة والأربعين بعد البسملة: ﴿**هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً**﴾، هذه آثارُ وَلاية اللّه الَّتي هي وَلايةُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، هذه الوَلايّةُ الكونيةُ تتجلّى في الخالقيّةِ في خالقيّتهم.

- **وهُناكَ الرازقيّةُ.**

الخالقيّة؛ تعني الإبداع وتعني أيضاً القُدرةَ على بعث الحياة وتعني أيضاً القُدرةَ على إماتةِ الحياة، الَّذي يكونُ قادراً على الخلق إنَّهُ قادرٌ على بعث الحياة، وقادرٌ في الوقتِ نفسه على إماتة الحياة.

في سورةِ المائدة في الآيةِ الرابعة بعدَ العاشرة بعدَ المئة بعدَ البسملة من سورة المائدة: ﴿**قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾، هُناكَ رازقون ورازقيّتهم كرازقيةِ الله، لكنَّ اللّهَ هو خيرُ الرازقين، لأنَّهُ هو الَّذي جعلهم في هذهِ المنزلة.

في الآيةِ الرابعة والستين بعدَ البسملة من سورة يوسف: ﴿**قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾، لن يكونَ سبحانهُ وتعالى أرحمَ الراحمين ما لم يكُن هُناكَ راحمون، ورحمتهم كرحمته، هم رحمتهُ الواسعة.

إذا ما ذهبنا إلى سورة آلِ عمران وفي الآيةِ الخمسين بعدَ المئة بعدَ البسملة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ** - هذه الآيةُ الَّتي قبلها - **بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ**﴾، هُناكَ ناصرون وهُم الَّذينَ نُخاطبهم في دعاء الفرج: (يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيّ يَا عَلِي يَا مُحَمَّد اكفيانَا فَإِنَّكُما كَافِيَان وانْصُرَانَا فَإِنَّكُمَا نَاصِرَان)، الطوسيونَ يُشكِّكونَ بهذا الدُّعاء ويقولونَ من أنَّ الكلامَ ليس مناسباً في أنْ نُخاطبَ مُحَمّداً وعلياً بهذا الخطاب، ما هذا هو القُرآن، هذا منطقُ القُرآن اعرضوا الأدعيةَ كُلَّها والزيارات كُلَّها والروايات كُلَّها الَّتي يُثيرَ عليها الطوسيونَ شُبهةَ التفويض والغلو على هذه الآيات فإنَّها تأتي دونها في المعاني والمضامين، وبهذا ستُصبحُ بأجمعها صحيحةً.

نذهبُ إلى سورة الأعراف وإلى الآيةِ التاسعة والثمانين من سورة الأعراف بعدَ البسملة: ﴿**وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾، هُناكَ فاتحون، فاتحيّتُهم كفاتحيّة اللّه، وإلّا كيفَ صارَ سُبحانهُ وتعالى خيرَ الفاتحين؟! هل يُقارنُ نفسهُ مثلاً بطارق بن زياد الَّذي فتحَ الأندلس مثلاً، أو بالسلطان العثماني محمّد الفاتح الَّذي فتحَ القسطنطينية مثلاً؟! هذه فاتحيّةٌ في الوجود.

في سورة الأنعام وفي الآيةِ السابعة والخمسين بعدَ البسملة: ﴿**قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**﴾، هُناكَ فَاصلون، إنَّني أحدِّثُكم عن مقامِ الوَلايةِ الكونيةِ، هذا مقامٌ أعلى من مقامِ الوَلايةِ التكوينيةِ والتشريعية، ﴿**وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**﴾، هُناكَ فاصلونَ في هذا الوجود، فاصلونَ في التكوين، وفاصلونَ في التشريع، سُبحانهُ وتعالى يُقارنُ فيما بينَ فاصليّته وفاصليّتهم.

الآيةُ التاسعةُ والعشرون من سورةِ المؤمنون: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ**﴾.

في سورة آل عمران في الآية الرابعة والخمسين بعدَ البسملة: ﴿**وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾، الماكرونَ هُنا مُحَمّدٌ وآلُ مُحَمّد، مَاكريّتهم كماكريّة اللّه سُبحانه وتعالى فَهُوَ خَيْرُ الـمَاكرين، مثلما نقرأ في دعاء أبي حمزة الثمالي: (**إِلَهِي لَا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِك وَلَا تَمْكُر بِي فِي حِيلَتِك، مِنْ أَيْنَ لِيَ الخَيْرُ وَلَا يُوجَدُ إِلَّا مِنْ عِنْدِك، وَمِنْ أَيْنَ لِيَ النَّجَاةُ وَلَا تُسْتَطَاعُ إِلَّا بِك**)، هذه المضامينُ تتفرعُ على معاني المكر.

وماذا نقرأ في سورة يونس في الآية التاسعة بعدَ المئة بعدَ البسملة وهي آخرُ آية في السورة: ﴿**وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾، هُناكَ حاكمونَ في هذا الوجود حاكميّتهم كحاكميّة اللّه، وإلَّا كيفَ يُقارِنُ اللّهُ نَفسهُ بِهم إنْ لم تَكُن حاكميّتُهم كحاكميّته

الآياتُ واضحةٌ وصريحةٌ جِدّاً، وكُلُّ ما ذُكِرَ على سبيلِ هذه الصيغة بالمقارنة فيما بَينَ اللّه وبينَ غيره لا ينطبقُ إلَّا على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، وإذا قُلتُم هُناكَ جهةٌ أخرى فَمَن هي هذه الجهة الأخرى؟ أخبرونا قولوا لنا مَن هي الجهةُ الأخرى الَّتي تَحدَّثَ عنها القُرآن؟! هل من المعقول أنَّ القُرآنَ لم يتحدَّث عن جهةٍ مُطلقاً وإنَّما يقولُ اللّهُ هكذا من أنَّهُ أحسنُ الخَالقين، ولا يوجدُ خَالقون؟! من أنَّهُ خَيرُ الرّازقين ولا يُوجدُ رَازقُون؟! ألا يكونُ هذا الكلامُ لغواً، هُناكَ جهةٌ وصفت بالخالقيّة وَوصفت بالرّازقيّة وَوصفت بسائر الأوصاف، اللّهُ سُبحانهُ وتعالى قَارَنَ نَفسهُ بتلكَ الجهة، لا يُمكنُ أن يُقارنَ نفسهُ بتلكَ الجهة وتلكَ الجهةُ مَعيبةٌ، وتلكَ الجهةُ ناقصةٌ، وتلكَ الجهةُ جهةٌ بعيدةٌ عنه، لابُدَّ أن تكونَ الجهةُ قريبةً منه عظيمةً كعظمته، هُو الَّذي منحها تلكَ العَظَمة.

الآيةُ العاشرةُ بعدَ المئة بعدَ البسملة من سورة الإسراء: ﴿**قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى**﴾، هذه هي الأسماءُ الحُسنى: "أحسنُ الخَالقين، خَيرُ الرَّازقين، أَرْحَمُ الرَّاحمين، خَيرُ الرَّاحمين، خَيرُ الغَافرين"، إلى سائرِ الأوصاف والأسماء الحُسنى الَّتي مَرّ ذِكرها في الآيات الَّتي تلوتُها عليكم قبلَ قليل.

وفي سورة الأعراف في الآية الثمانين بعدَ المئة بعدَ البسملة: ﴿**وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِه**﴾، هذا الوصف ينطبقُ على الطوسيين، لأنَّ الطوسيينَ ابتداءً من الطوسي في تفسيره وانتهاءً بالطوسيّينَ المعاصرين هُم الَّذينَ حينما يتحدَّثونَ عن الأسماء الحُسنى للّه يَتحدَّثونَ عن الألفاظ ولا يتحدَّثونَ عن المعنى الحقيقي للأسماء الحُسنى، المعنى الحقيقي؛ "**مُحَمّدٌ وآلُ مُحَمّد**"، الألفاظُ ظُهورٌ من ظهورات الأسماء الحُسنى، الَّذينَ يُلحدونَ في أسماء اللّه من أوضح مصاديقهم الطوسيّون، المراجعُ الطوسيون.

إمامنا الصَّادقُ يقول، وأنا أقرأ عليكُم من (الكافي الشريف) من الجزء الأوَّل من الكافي الشريف، ومن باب التوحيد، من كتاب التوحيد، إنَّها طبعةُ دارِ الأسوة، طهران، إيران، في الصفحة الرابعة والستين بعدَ المئة، إنَّهُ الحديثُ الرابع: **بِسَنده** - بِسند الكُليني - **عَن مُعاوية بنِ عَمَّار، عَن إِمَامنَا الصَّادق صلواتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيه، فِي قَول اللّه عَزَّ وَجَلَّ: "وَللّه الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا"، قَالَ: نَحْنُ وَاللّه الأَسْمَاء الحُسْنَى الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللّه مِنَ العِبَادِ عَمَلاً إِلَّا بِمَعْرِفَتنا** - بِمعرفتنا وفقاً لمنطق القُرآن الَّذي حدَّثتُكم عنه ولا زِلتُ أُحدِّثكم عنه.

أذهبُ بِكُم إلى سورة الأنبياء وهي تُحدِّثنا عن مقامٍ آخر إنَّهُ مقامُ القُرب عندَ اللّه، وهُو من مَظاهرِ المقام الأعلى المقام المطلق، في الآية التاسعة بعدَ العاشرة بعدَ البسملة: ﴿**وَلَهُ** - للّه سُبحانَهُ وتعالى - **مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** - السّماواتُ والأرض عنوانٌ للوجود كُلِّه - **وَمَنْ عِندَهُ** - مَن هُم هؤلاء الَّذينَ لا يُعدُّونَ من أهل السَّماوات ومَن أهل الأرض مَن هُم هؤلاء؟ ومَن عِندَه؟ إمامُنا الصَّادقُ يقولُ للمُفضَّلِ بنِ عُمر وهُو يَحثُّهُ على التدبّرِ في الآية: ﴿**وَمَنْ عِنْدَه**﴾، وَمَن غَيرَنا، مَن غَيرُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد الَّذينَ يُذْكَرونَ هُنا.

لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِه وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ - "لا يَستَحْسِرُون"؛ لا يُصيبُهم الكَلل والـمَلَل، هذا هو مقامُ القُرب.

إذا ما ذهبنا إلى سورة الزخرف وإلى الآية الرابعة بعدَ البسملة إشارةٌ أخرى إلى مقام القُرب، في الآية الثالثة بعدَ البسملة: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** - هذا هو الَّذي نقرأ فيه بلغة العرب، بلسان العرب - **وَإِنَّهُ** - في حقيقته - **فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾، ﴿**وَمَنْ عِنْدَهُ**﴾، ﴿لَدَيْنَا﴾ هذه إشاراتٌ إلى مقام القُرب، وهذا المقامُ هو أعلى من مَقام الوَلايَة الكونية، هذا المقامُ أعلى مَقامُ القُرب.

إذا أردنا أن نَجمعَ بينَ هذه المضامين تتجلَّى لنا صورةٌ إجماليةٌ في العديد من المراتبِ والمجالي لِوَلايَة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، لكنَّ المضمونَ الأوسع والأدق حينما يتحدَّثُ القُرآنُ عن المقامِ المطلق؛ (فَاسْتَقَرّ في ظلِّك فَلا يَخرُجُ منْك إلَى غَيْرِك)، مثلما جاء في سورة القَصص في آخرِ آية منها في سورة القصص، في الآية الثامنة والثمانين بعدَ البسملة: ﴿**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾، لو كانَ وجههُ من ذَاته لَمَا جاء الكلامُ مُناسباً، لكنَّ وجههُ لَيسَ من ذاته، إنَّها حقيقةُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، فهل هذه الحقيقةُ حقيقةٌ هَالكة؟ القُرآنُ يقولُ لا.

وصلنا إلى هذه النقطة، هذه منظومةٌ قُرآنيةٌ عقائديةٌ نستطيعُ وفقاً لها أن نَعرِضَ كُلَّ الأدعية وكُلَّ الزيارات وكُلَّ الروايات الَّتي يقولُ الطوسيّونَ عنها من أنَّ التفويضَ يَشوبها، من أنَّ الغُلوَّ يَشوبها، إذا ما عرضناها على هذه الآيات فإنَّ مَضامينها ستكونُ دُونَ مضامينِ هذه الآيات القُرآنية، أعتقدُ أنَّ الأمرَ واضحٌ جِدّاً، وهذه المنظومةُ القرآنيّةُ تُثبتُ ضلالَ عقائد الطوسيّين وتُثبتُ جَهلَهم وتُثبِتُ خطأ مَنهَجِهم.